"الكلمة"

فى القرآن الكريم

المفهوم والدلالة

د / منى سعد أحمد سراج الدين

مدرس العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بجامعة الأزهر

"الكلمة " في القرآن الكريم المفهوم والدلالة

مني سعد احمد سراج الدين

قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكترونى:dr.monaserag@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف هذا البحث إلي بيان دلالة "الكلمة" في القران الكريم ، وتنوع استعمالاتها، وبيان هذا التنوع وتصنيفه إلي مجموعات توضح المراد من مصطلح "الكلمة" ودلالتة في كل مجموعة من هذه المجموعات ، ولقد اتبعت في هذاالبحث المنهجين : الاستقرائي والتحليلي.

وكان من اهم نتائج البحث ما يلي:

١- القرآن الكريم هو"الكلمة" التي ستظل معجزة إلي أن يشاء الله.

٢- إن أجل وأشرف كلمة هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، لأنها الفيصل بين الكفر والإيمان.

٣- ثراء اللغة العربية ودقة معانيها حيث أن لفظاً واحداً كلفظ "الكلمة" يحمل ما يزيد عن ثلاثين معني ودلالة.

الكلمات المفتاحية : المفهوم – الدلالة – كلمة الله عيسي – كلام الله الأزلي.

The word in the Holy Qur'an Concept and significance

Mona Saad Ahmed Serageldin
"Department of Creed and Philosophy" ,Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls, Al-Azhar University, Cairo,Egypt.
E-mail: dr.monaserag@azhar.edu.eg

Abstract:
This research aims to clarify the meaning of the word in the Holy Qur'an, the diversity of its uses, and clarify this diversity and classify it into groups that clarify what is meant by the term "word" and its significance in each of these groups. I have followed in this research the two approaches: Inductive and analytical.
The most important results of the research were the following:
1- The holy Qur'an is the "word" that will remain a miracle until God wills it.
2- The term and honor of the word is the word monotheism (there is no god but Allah), because it is the difference between unbelief and faith.
3- The richness of the Arabic language and the accuracy of its meanings, Whereby a single word such as the term "word" has more than thirty meanings and indications.
Keywords: concept - significance - the word of Allah Isa - the eternal word of Allah.

بسم الله الرحمن الرحيم

"مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ"

صدق الله العظيم

مقدمـــــــــــة

نحمدك يا من تقدست صفاتك، وتعالت أسماؤك، وتجلت فى جنبات الكون قدرتك، ونطقت أعيان الموجودات بفضل نعمتك، رب السموات والأرض، بشَّرْتَ الصابرين، ووعدت المخلصين، وأثبت الطائعين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على عبدك وحبيبك ورسولك محمد خاتم المرسلين، وإمام المهتدين، وعلى آله أجمعين.

وبعد، يهدف هذا البحث إلى بيان دلالة "الكلمة" فى القرآن الكريم، على تنوع استعمالاتها، وبيان هذا التنوع وتصنيفه إلى مجموعات، بحيث تستقل كل مجموعة بعنوان مستقل بذاته، حتى يكتمل ويتضح كل ما يخص لفظ "الكلمة" من أمور قد تساعدنا على فهمها وبيان حقيقتها، وذلك مثل بيان عدد مرات ورودها بالقرآن الكريم، وبيان عدد السور القرآنية التى احتوت هذا اللفظ، وبيان معانيه فى كل مرة، وكذلك تفسير الآيات التى اشتملت عليه، وقد راعيت أن تتنوع كتب التفاسير وفقاً للمذاهب الإعتقادية لهذا المفسر أو ذاك، بحيث يمثل كل مفسر منهم المذهب العقدى الذى ينتمى إليه، فالزمخشرى على سبيل المثال ممثلاً لمذهب الإعتزال، وابن تيمية ممثلاً للسلفية، والطبرى كذلك، والقرطبى ممثلاً لمذهب أهل السنة، والإمام فخر الدين الرازى ممثلاً للأشاعرة، وهكذا حتى تتضافر المذاهب فى لحمة واحدة تعين على فهم الموضوع.

ولا يخفى على كل ذى لب ما للكلمة من أهمية كبرى باعتبارها الوعاء الذى تصب فيه المعانى، والأصل الذى تدور حوله، فإذا وضعنا الكلمة فى موضعها الذى ينبغى أن يكون عليه نكون قد أصبنا المعنى كله، ولذا كان سبب اختيارى لهذا الموضوع عدة أمور: منها ما ذكرناه من

أهمية تضافر اللفظ والمعنى، والتسليم بأن الكلمة هى المعين والمرآة الحقيقية لهما، ومنها كذلك ندرة الكلام من قبل الباحثين حول مفهوم "الكلمة" لاسيما فى القرآن الكريم، بوجه خاص، والتوسع فى دراسة كلمة الله عيسى عليه السلام حيث حظى هذا الموضوع باهتمام كبير فى الأبحاث الأكاديمية دون الالتفات إلى بقية المواضع التى ذكرت فيها "الكلمة" ودلالاتها وهو ما لفت انتباهى وآثرت أن أوضحه فى هذا العمل المتواضع، وكان أجلّ ما بعثنى على هذا العمل هو ملازمة كتاب الله تعالى ومدارسته ولو فى سطور قليلة.

منهجى فى البحث:

اعتمدت في هذا البحث علي منهجين : أولهما : المنهج الإستقرائي حيث تتبعت لفظ الكلمة في القرآن الكريم ، وقمت بعمل حصري لها لكي يتيسر الوقوف علي معانيها ، ودلالاتها ، ثانيهما : المنهج التحليلي حيث تناولت مفهوم الكلمة ومعانيها الواردة بالقرآن الكريم ، وذلك بالاستعانة بالمعاجم اللغوية ، ثم تناولت بالتفصيل الموضوعات العقدية المتعلقة بها ، وكذا المواضع القرآنية للفظ الكلمة وتصنيفها الي مجموعات وعنونتها ،وما دار حولها من آراء.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث وعنوانه: ("الكلمة" فى القرآن الكريم المفهوم والدلالة) على مقدمه وأربعة مباحث وخاتمة،

مقدمة: فى بيان أهمية البحث، وأهدافه، وسبب اختيارى له.

المبحث الأول: "الكلمة" ومعانيها فى القرآن الكريم.

المبحث الثاني: كلام الله الأزلي.

المبحث الثالث: كلمة الله عيسى عليه السلام.

المبحث الرابع: المواضع القرآنية للفظ الكلمة ودلالاتها.

الخاتمة:

تحدثت فيها عن بعض أوجه الإعجاز فى القرآن الكريم متمثلاً فى "الكلمة" بوجه خاص، والمشاكل الفكرية التى تفرعت عن قضية "الكلمة" فى الفكر الإسلامى، ثم أهم النتائج المستخلصة من البحث، يليها ثبت بأهم المصادر والمراجع ثم الفهرس.

وأخيراً أسأل الله أن يكون هذا العمل المتواضع لى لا علىَّ، وأن ينفع به المسلمين، وفقنا الله لما فيه الصلاح، وفوق كل ذى علم عليم.

الباحثة

المبحث الأول

"الكلمة" ومعانيها فى القرآن الكريم

مفهوم "الكلمة" :

"الكلمة" فى اللغة: "ما ينطق به الإنسان مفرداً كان أو مركباً، وتطلق أيضاً على الخطبة، وكلمة الشهادة، والقصيدة، وعند النحاه: قسم من اللفظ، وهو اللفظ الموضوع لمعنى مفرد، وعند المنطقيين: هى اللفظ المفرد الدال على معنى وزمان من الأزمنة الثلاثة بصيغته ووزنه، وعند النصارى تطلق على صفة العلم، وعند أهل التصوف عين من الأعيان الثابتة فى العلم الإلهى الداخلة تحت الإيجاد فى الإنسان الكامل، ولقد سمى الحق سبحانه الموجودات كلها كلمات، ولذا سمى عيسى عليه السلام "كلمة"[١].

وجاء "بالتعريفات": "كلمة الحضرة إشارة إلى قوله: "كن" فهى صورة الإرادة الكلية"[٢].

وقيل فى معنى "الكلمة": "وأما الكلمة فعبارة عما مدلوله صالح لأن يكون أحد جزئى القضية الخبرية، ويلزمه نسبة الحدث والزمان كقام زيد وقعد ونحوه"[٣]، أما الكلمة الباقية فهى "كلمة التوحيد وعيسى كلمة

---

(١) "كشاف اصطلاحات الفنون" للتهانوى ١٣٦٧/٣.

(٢) "كتاب التعريفات" للسيد الشريف الجرجانى ص ١٩٥.

(٣) "المبين فى شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين" لسيف الدين الآمدى ص ٧٠.

الله لأنه انتفع به وبكلامه أو لأنه كان بكلمة "كُن من غير أب ولا رجُل"[1].

وجاء أيضاً فى معنى "الكلمة": "فى القرآن والحديث وسائر لغة العرب، إنما يراد بها الجملة التامة، كقوله صلي الله عليه وسلم: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"، وقوله" "إن أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شئ ما خلا الله باطل"، ومنه قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف (٥)]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[آل عمران (٦٤)] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾[التوبة (٤٠)]، وأمثال ذلك، ولا يوجد لفظ الكلام فى لغة العرب إلا بهذا المعنى"[2]، وإن كنت أرى أن فى هذا النص السابق تضييق لمعنى "الكلمة" أما أولاً: فلتعدد معانى واستعمالات لفظ "الكلمة" فى القرآن الكريم – كما سيأتى بيانه – أما ثانياً: لتعدد ما صدقات لفظ "الكلمة" كما جاء فى معاجم اللغة أنها تطلق على الخطبة، والقصيدة، والشهادة، كما اختلفت معانيها لدى كل من: المنطقيين والنحاه والمتصوفة والنصارى، كما أنها تطلق على الكلام الجيد والجملة التامة. والكلام المفيد، غير أن الآيات التى تم الاستدلال بها على معنى "الكلمة" ليست كلها المراد منها "الجملة التامة" بل آية "الكهف" المراد بها كلمة الكفر "وكلمتا" "التوبة" المراد

(١) "القاموس المحيط" لمجد الدين الفيروز أبادى ١٧٢/٤.

(٢) "مجموع الفتاوى" لابن تيمية ٣٣٩/١.

بالأولى كلمة الكفر والثانية كلمة التوحيد أما آية "آل عمران" هى فقط التى وردت بمعنى الجملة التامة.

أما الكلام: فهو: "ما تضمن كلمتين بالإسناد"[١] وقيل فى معناه: "ما يتكلم به، قليلاً كان أو كثيراً، واشتهر فى عرف أهل اللغة فى المركب من حرفين فصاعداً، وفيه إشعار بما هو المشهور أن الحرف هو الصوت المكيف، لكن فى المحيط أن الصوت والحرف كل منهما شرط الكلام إذ لا يحصل الإفهام إلا بهما"[٢]، وقال الأصوليون الكلام ما انتظم من الحروف المسموعة المتواضع عليها.

وجاء أيضاً فى معنى الكلام: "الكلام: القول، أو ما كان مكتفياً بنفسه، والكلمة: اللفظة، والقصيدة، وجيد الكلام: فصيحه، وتكالما: تحدثا بعد تهاجر"[٣].

(١) "كتاب التعريفات" للجرجانى ص ١٩٤.

(٢) "كشاف اصطلاحات الفنون" للتهانوى ١٣٦٧/٣.

(٣) "القاموس المحيط" للفيروزابادى ١٧٢/٤.

معانى "الكلمة" فى القرآن الكريم:

للكلمة أهمية قصوى نظراً لتوقف فهم المعنى المراد عليها، وقد ورد لفظ "الكلمة" ومشتقاتها فى خمس وسبعين موضعاً من القرآن الكريم: إحدى وخمسون موضعاً بصيغة الاسم، وأربع وعشرون موضعاً بصيغة الفعل، جاء جميعها فى اثنتى وثلاثين سورة قرآنية هم: (البقرة/ آل عمران/ النساء/ المائدة/ الأنعام/ الأعراف/ الأنفال/ التوبة/ يونس/ هود/ يوسف/ الرعد/ إبراهيم/ الكهف/ مريم/ طه/ المؤمنون/ النور/ النمل/ الروم/ لقمان/ فاطر/ يس/ الصافات/ الزمر/ غافر/ فصلت/ الشورى/ الزخرف/ الفتح/ التحريم/ النبأ).

وقد تنوعت معانيها ودلالاتها فيما يقرب من ثلاثين معنى ودلالة، أحصيتها بقدر الطاقة حيث أطلق لفظ "الكلمة" فى القرآن الكريم ليدل على المعانى الآتية:

١- كلام الله لموسى عليه السلام

٢- كلام الله للبشر

٣- كلام الله بمعنى الوعد

٤- كلام الله بمعنى الوعيد

٥- كلام الله بمعنى الإخبار

٦- كلمة الله عيسى عليه السلام

٧- كلام عيسى عليه السلام فى المهد

٨- كلام الموتى

٩- الكلام بمعنى الخطاب

١٠- كلام الأعضاء يوم القيامة

١١- الكلام بمعنى الجملة المفيدة

١٢- الكلام بمعنى التسبيح

١٣- قول النصارى: "لولا يكلمنا الله"

١٤- الكلام بمعنى القرآن الكريم

١٥- الكلام بمعنى البهتان

١٦- الكلام بمعنى الكذب

١٧- كلام الدابة

١٨- الكلام المجازى

١٩- الكلام بمعنى التوراه

٢٠- الكلمة بمعنى الكفر

٢١- الكلمة بمعنى (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد

٢٢- الكلمة بمعنى القضاء والقدر

٢٣- الكلمات بمعنى التوبة

٢٤- الكلمات بمعنى التكاليف الشرعية

٢٥- الكلمات بمعنى الإسلام

٢٦- الكلمات بمعنى علم الله القديم

٢٧- الكلمات بمعنى الحجة والبرهان

٢٨- أمر الله يوم القيامة بعدم الكلام

٢٩- أمر الله أهل النار بعدم الكلام

٣٠- أمر الله الأنبياء بعدم الكلام

٣١- استنكار الكلام

٣٢- الامتناع عن الكلام

وإذا كان العرب قد بلغوا من الروعة والبيان مبلغاً عظيماً، فإن القرآن الكريم أعظم بلاغة، وأروع فصاحة، وأدق بياناً وأسلوباً، وقد تحداهم الله عز وجل بأن يأتوا بمثله، أو بمثل آية منه فعجزوا، بل إنهم اعترفوا ببلاغته، وخروا لفصاحته، وقد قال قائلهم: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه، وما هو بقول بشر.

المبحث الثانى

كلام اللـــــــــه الأزلى

وهـو أهـم الموضـوعات العقديـة علـى الإطـلاق، حتـى صـار الكـلام أحـد إطلاقات علم العقيدة، فصار يسمى بعلم الكلام.

ومسألة كلام الله كبرى المسائل التى دار حولها الخلاف بين المتكلمين منذ نشأة الفرق الإسلامية، وكذا مسألة خلق القرآن باعتباره كلام الله المنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) وأخذت قدراً كبيراً من خلاف المسلمين، ومحنة الإمام أحمد بن حنبل خير شاهد على هذا الخلاف، كما أن هناك مسألة كبرى وهى مسألة خلق عيسى، وكيف أنه كلمة الله، وكيف يكون الرد على مزاعم النصارى فى هذا الموضوع.

"وكلام الله صفة له أزليـة قائمـة، وهى أمره ونهيه وخبره ووعده ووعيده، ونقول كلام الله فى المصحف مكتوب، وفى القلب محفوظ، وباللسان متلو، ولا يقال أنه فى المصاحف مطلقاً، ولا نقول على الإطلاق أن كلام الله سبحانه فى محل ولكن نقول على التقييد أنه مكتوب فى المصاحف، واختلفوا فى وصفه فى الأزل فمن أجاز من خطاب المعدوم قال إن كلام الله لم يزل أمراً ونهياً للمكلفين الذين خلقوا بعد ذلك بشرط أن يفعلوا ما أمروا به بعد الوجود والبلوغ ووفور العقل، ومن لم يجز منهم خطاب المعدوم ولم يسم كلامه قبل وجود الخلق أمراً ونهياً قال إن كلامه إنما صار أمراً ونهياً عند توجه اللزوم على المكلف"[1].

(1) "أصول الدين" لعبد القاهر البغدادى ص ١٠٧.

هذا ما يجب على المكلف اعتقاده فقد "تواتر إجماع الأنبياء عليهم السلام واتفاقهم على أنه سبحانه وتعالى متكلم"[1].

وإذا اعتبرنا صفة للكلام من الصفات السمعية، كالسمع والبصر، أى التى تثبت أولاً بالشرع ثم يأتى بعد ذلك إجتهاد المسلمين فى إثبات هذه الصفات التى من ضمنها الكلام، فما الدليل على أنه سبحانه سميع بصير متكلم؟.

(1) "متن طوالع الأنوار" للبيضاوى ص ١٨٣.

الدليل على ذلك:

"أنه قد ثبت أنه حى بما وصفناه، والحى يصح أن يكون سميعاً بصيراً متكلما، ومتى عرى من هذه الأوصاف، مع صحة وصفه بها، فلابد من أن يكون موصوفاً بأضدادها من الخرس والسكوت والعمى والصم، وكل هذه الأمور آفات قد اتفق على أنها تدل على حدث الموصوف بها، فلم يجز وصف القديم بشئ منها، فوجب أن يكون سمعياً بصيراً متكلماً"(١).

وقد ورد كلام الله فى القرآن الكريم فيما يقرب من أربعة عشر موضعاً على النحو التالى:

١- كلام الله لسيدنا موسى عليه السلام:

وقد ورد فى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة (٢٥٣)]. "والمكلم موسى عليه السلام، وقد سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن آدم أنبى مرسل هو؟ فقال: [نعم نبى مكلم] قال ابن عطية، وقد تأول بعض الناس أن تكليم أدم كان فى الجنة، فعلى هذا تبقى خاصية موسى"(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء (١٦٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف (١٤٣)].

---

(١) "التمهيد" لأبى بكر الباقلانى ص ٢٦.

(٢) "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبى ٣/٢٥.

وقـــوله تعالى: ﴿قَـالَ يَا مُوسَى إِنِّـي اصْطَفَيْتُـكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف (١٤٤)].

٢- مكالمة الله للبشر:

مكالمة الله تعالى العبد على ضربين:

أحدهما في الدنيا:

وهى على ما نبه عليه قولـه سبحانه ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّـهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِـهِ مَا يَشَاءُ إِنَّـهُ عَلِـيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى (٥١)]، وكلام الله للبشر كان للأنبياء منهم فقط وهذه الآية جاءت فى مقامات الوحى.

والثانى فى الآخرة:

وهى ثواب للمؤمنين وكرامة لهم تخفى عليهم كيفيته، أما المشركين والمعاندين فقد أخبرنا المولى سبحانه أنه لن يكلمهم، ولن يزكيهم، وذلك جزاءاً بما عملوا فى الدنيا وإهانة لهم يوم القيامة، وورد فى هذا المعنى

قولـه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّـــهُ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُـــمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة (١٧٤)].

وقولــه تعالـــى: ﴿إِنَّ الَّذِيـنَ يَشْتَرُونَ بِعَهْـدِ اللَّـهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَـــلَاقَ لَهُمْ فِـي الْآخِـرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّـهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَـيْهِمْ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِـمْ وَلَهُـمْ عَـذَابٌ أَلِيـــمٌ﴾ [آل عمران (٧٧)].

٣- كلام الله بمعنى الوعد:

وورد فى هذا المعنى:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّـهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام (٣٤)]، فقد وعد الله سبحانه وتعالى النبى بالنصر "ولا مبدل لكلمات الله أى التى كتبها بالنصر فى الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين"(١).

وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّـهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس (٦٤)]، أى هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير بل هو مقرر مثبت كائن لا محالة(٢).

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّـهِ﴾ [الفتح (١٥)]، أى "يريدون أن يغيروا وعد الله الذى وعد أهل الحديبية وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم"(٣).

٤- كلام الله بمعنى الوعيد :

وكما جاءت آيات بينات وعد بها الله المؤمنين جاءت أيضاً آيات أخرى تتوعد الذين كفروا، فوعده عدل ووعيده عدل وهو جل شأنه الحكم العدل، ولقد وردت آيات كثيرة بمعنى الوعيد وذلك مثل:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود (١١٠)]، وجاء

---

(١) "تفسير القرآن العظيم" للحافظ ابن كثير ١٨١/٣.

(٢) م.س ١٩٦/٤.

(٣) "تفسير الطبرى" ابن جرير الطبرى ٣٤٢/١١.

فى تفسير هذه الآية "لولا ما تقدم من تأجيله العذاب إلى أجل معلوم لقضى الله بينهم ويحتمل أن يكون المراد "بالكلمة" أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه"(١)، وجاء بالكشاف "يعنى كلمة الإنظار إلى يوم القيامة"(٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [فصلت (٤٥)]، "بمعنى لولا أمهلهم الله لعجل لهم العذاب"(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى (١٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى (٢١)].

٥- كلام الله بمعنى الإخبار:

وذلك مثل: قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام (١١٥)]، أى "صدقاً فيما قال وعدلاً فيما حكم، يقول صدقاً فى الإخبار وعدلاً فى الطلب، فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك، وكل ما أمر به فهو العدل الذى لا عدل سواه وكل ما نهى عنه فباطل، فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة"(٤).

---

(١) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ٢٤٦/٤.

(٢) "تفسير الكشاف" للإمام الزمخشرى ٢٣٦/٢.

(٣) "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبى ٣١٣/١٥ بتصرف.

(٤) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ٢٣٢/٣.

وقولـــه تعالـــــى: ﴿وَتَمَّـــتْ كَلِمَةُ رَبِّـــكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيـــلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف (١٣٧)].

وقـــوله تعالـــــى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَـــةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُـــمْ فِيمَا فِيـــهِ يَخْتَلِفُـــونَ﴾ [يـــونس (١٩)]، وهـــو "تـــأخير الحكـــم بيـــنهم إلـــى يـــوم القيامة"[١].

وقـــوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّـــتْ كَلِمَـــةُ رَبِّـــكَ عَلَى الَّذِيـــنَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُـــونَ﴾ [يونـــس (٣٣)]، أى حقـــت عليهـــم كلمـــة الله أنهـــم أشقيـــاء من ساكنى النـــار كقولـه تعالى: ﴿قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر (٧١)].

(١) "تفسير الكشاف" للإمام الزمخشرى ٢/١٨٥.

المبحث الثالث

كلمة الله عيسى عليه السلام

خلق الله البشر جميعاً خلقاً ثنائياً، أى من أب وأم، وخلق آدم بدون أب أو أم، ثم خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام، أى خلقها من أب دون أم، وحتى تكتمل هذه القسمة العقلية لأنماط الخلق لم يبق إلا أن يوجد مخلوقاً من أم فقط فكان عيسى عليه السلام، فإن قيل: أن آدم وحواء تحققت فى خلقهم صورة من صور الإعجاز قلنا: أن ذلك لم يكن على الأرض بل كان مقره الجنة فلا مجال للمقارنة، أما عيسى فهو بشر عاش على الأرض كبقية البشر وله أماً كبقية البشر ولكن المعجز فى خلقه أنه بدون أب، كما أنه أتى بأمر معجز وهو مازال صبياً.

ولكن! ما المراد بكون عيسى عليه السلام كلمة الله؟ وما الذى يفرقه عن بقية الأنبياء والمرسلين لاسيما أنه رسول مثلهم؟ وما مضمون "الكلمة" هنا إذا أطلقت عليه؟ وما الذى دعا النصارى لمقولتهم أن المسيح عيسى ابن الله؟ وهل يتخذون من الآيات الكريمة التى تدل على أنه كلمة من الله دليلاً إلزامياً على المسلمين، وكان على المسلمين وجوب رده؟ وهل الكلمة هنا بمعنى إرادته الكونية "كن فيكون"؟ وما المراد بالروح؟ وما علاقة كل ذلك بالبشارة بعيسى عليه السلام؟.

تلكم أسئلة كثيرة تكفل المسلمون، المتكلمون منهم خاصة، عناء الرد عليها، ودحض شبه المنكرين لعقيدتنا فى خلق عيسى عليه السلام، كما

وردت بالقرآن الكريم، يقول الحق سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران (٤٥)] وتدل الآية على عدة أمور منها:

١- تبشير مريم بولدها عيسى.

٢- أنه كلمة من الله، وذلك إنما يعنى أن هناك إعجاز فى خلقه.

٣- نسبته لأمه تأكيداً على هذا الإعجاز وبياناً له أنه مخلوق من غير أب ينسب إليه.

٤- التنبيه على وجاهته فى الدنيا والآخرة، أما فى الدنيا فالمراد بها النبوة، وأما وجاهته فى الآخرة فالمراد منها الشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة.

ويبقى السؤال، ما المراد "بالكلمة" فى الآية التى معنا، وما الذى ذهب إليه المفسرون – على اختلاف مذاهبهم العقدية – فى تفسيرها وما علاقتها بخلق عيسى؟.

يرى بعض المفسرين أن قوله [بِكَلِمَةٍ مِنْهُ] "يعنى برسالة من الله وخبر من عنده وهو كقوله: ألقى فلان إلىَّ كلمة سرنى بها، بمعنى أخبرنى خبراً فرحت به، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ [النساء (١٧١)]، يعنى: بشرى الله مريم بعيسى، ألقاها إليها.... وقد قال قوم، وهو قول قتادة: إن "الكلمة" التى قال الله عز وجل "بكلمة منه" هو قوله "كن"... فسماه الله عز وجل "كلمته"؛ لأنه كان عن كلمته كما يقال لما قدر الله من شئ: "هذا قدر الله وقضاؤه" يعنى به: هذا عن قدر الله

وقضائه حدث، وكما قال جل ثناؤه ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّـهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء (٤٧)، الأحزاب (٣٧)]، يعنى به: ما أمر الله به وهو المأمور به الذى كان عن أمر الله عز وجل، وقال آخرون: بل هى اسم لعيسى سماه الله بها، كما سمى سائر خلقه بما شاء من الأسماء، وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال "الكلمة" هى عيسى"(١). وجاء بالكشاف: "فإن قلت: لم ذكر ضمير "الكلمة" قلت: لأن المسمى بها مذكر"(٢).

ولابن تيمية تحليل "للكلمة" له وجاهته، فهو يتفق مع المفسرين "أن كلمة الله المراد بها عيسى نفسه، فلا ريب أن المصدر يعبر به عن المفعول به فى لغة العرب، كقولهم هذا درهم ضرب الأمير، ومنه قوله ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّـهِ﴾ [لقمان (١١)]، ومنه تسمية المأمور به أمراً، والمقدور قدرة، والمرحوم به رحمة، والمخلوق بالكلمة كلمة، لكن هذا اللفظ إنما يستعمل مع ما يقترن به مما يبين المراد، كقوله ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّـهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران (٤٥)]، فبين أن الكلمة هو المسيح، ومعلوم أن المسيح نفسه ليس هو الكلام" قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون" فبين، لما تعجبت من الولد، أنه سبحانه يخلق ما يشاء... فدل ذلك على أن هذا الولد مما يخلقه الله بقوله ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة (١١٧)] (٣).

---

(١) "تفسير الطبرى" لابن جرير الطبرى ٢٦٨/٣.

(٢) "تفسير الكشاف" للإمام الزمخشرى ١٩٠/١.

(٣) "مجموع الفتاوى" لابن تيمية ٤٣١/٢٠ وما بعدها.

وللإمام الرازى تحليل آخر لإطلاق "الكلمة" على المسيح عليه السلام أنه لما كان "السبب المتعارف كان مفقوداً فى حق عيسى عليه السلام وهو الأب، فلا جرم كان إضافة حدوثه إلى الكلمة أكمل وأتم فجعل بهذا التأويل كأنه نفس الكلمة كما أن من غلب عليه الجود والكرم والإقبال يقال فيه على سبيل المبالغة إنه نفس الجود، ومحض الكرم، وصريح الإقبال، فكذا ههنا"(١).

وما ذكرناه من أن "الكلمة" هنا إنما تعنى المسيح عيسى عليه السلام يذهب إليه كل من القرطبى(٢) وابن كثير(٣) وهو أيضاً اختيار جمهور المفسرين، وهناك أيضاً آيات أخرى تدل على ذات المعنى مثل قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران (٣٩)]، فالكلمة هنا هى عيسى عليه السلام وكان نبى الله يحيى أول من صدق بعيسى عليهما السلام، إلا أن التبشير فى هذه الآية كان بميلاد يحيى عليه السلام.

ومن الآيات أيضاً التى تدل على نفس المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء (١٧١)]، فالكلمة هنا كما أشرنا هى عيسى عليه السلام خلقه الله بكلمته وإرادته وفق منهج كن فيكون و[روحه] هى الروح المشرفة التى نفخها جبريل بنفسه.

---

(١) "التفسير الكبير" للإمام فخر الدين الرازى ٨/٤٦.

(٢) "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبى ٤/٤٤٥.

(٣) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ٢/٢٨.

المبحث الرابع

المواضع القرآنية للفظ "الكلمة" ودلالتها

١- كلام عيسى عليه السلام فى المهد:

قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران (٤٦)]، فالآية كما تدل على معجزة عيسى عليه السلام المبكرة تدل كذلك على أنه كسائر البشر يمر بمراحل عمرية من المهد حتى الكهولة، وتدل أيضاً على أنه من عباد الله الصالحين، كل ذلك تأكيداً على بشريته، رداً على النصارى القائلين بأن عيسى عليه السلام ذو طبيعتين: طبيعة لاهوتية وأخرى ناسوتية، وهو كقوله تعالى: ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [المائدة (١١٠)].

٢- كلام الموتى:

وقد أتى فى القرآن الكريم على سبيل الافتراض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام (١١١)]، وقد نزلت الآية الكريمة "فى المستهزئين برسول الله (ﷺ) وما جاء به من عند الله من مشركى قريش، ومعنى الآية: فإننا لو نزلنا إليهم الملائكة حتى يروها عياناً، وكلمهم الموتى بإحيائنا إياهم، حجة لك، ودلالة على نبوتك، وأخبروهم أنك محق فيما تقول، وأن ما جئتهم به حق من عند الله؛ وحشرنا عليهم كل شئ فجعلناهم لك قبلاً، ما آمنوا ولا صدَّقوا ولا

اتبعوك إلا أن يشاء الله ذلك لمن شاء منهم"[١]. وهذه الآية كقوله[٢] تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ(٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس (٩٧)].

٣- الكلام بمعنى الخطاب:

كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف (٥٤)]، والآية الكريمة تحكى قصة يوسف عليه السلام مع الملك، والمراد من قوله "فلما كلمه" الخطاب الذى دار بينهما، والضمير فى قوله: "فلما كلمه" يحتمل قولان: أحدهما: "أن المراد فلما كلم الملك يوسف عليه السلام... والثانى أن المراد فلما كلم يوسف الملك"[٣] وعلى أى حال حينما تحقق الملك من براءة يوسف [كلمه] "أى خاطبه الملك وعرفه ورأى فضله وبراعته وعلم ما هو عليه من خلق وخلق وكمال"[٤] جعله على خزائن الأرض.

٤- كلام الأعضاء يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس (٦٥)]، ومعنى الآية "اليوم نطبع على أفواه المشركين وذلك يوم القيامة و [تكلمنا أيديهم] بما عملوا فى الدنيا من

---

(١) "تفسير الطبرى" لابن جرير الطبرى ٣١١/٨ باختصار وتصرف؛ وانظر كذلك "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبى ٦٠/٧ وما بعدها.

(٢) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ٢٢٩/٣.

(٣) "التفسير الكبير" للإمام فخر الدين الرازى ١٣١/١٨..

(٤) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ٢٧٥/٤، وأنظر كذلك "الكشاف" للزمخشرى ٢٦٢/٢، "تفسير الطبرى" لابن جرير الطبرى ٢٤٠/٧...

معاصى"[١] ويروى أنهم يجحدون ويخاصمون ويحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتنطق أركانهم وذلك بعد أن يأمر الله سبحانه الأعضاء بالكلام والشهادة[٢].

٥- الكلام بمعنى الجملة المفيدة:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران (٦٤)]، هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم "والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا، ثم وصفها بقوله: [سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ] أى عدل ونصف نستوى نحن وأنتم فيها ثم فسرها بقوله [أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا] [٣].

٦- الكلام بمعنى التسبيح:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر (١٠)]، والمراد بالكلم الطيب "يعنى الذكر والتلاوة والدعاء، قاله غير واحد من السلف"[٤]، وجاء "بالكشاف" "والكلم الطيب لا إله إلا الله، عن ابن عباس رضى الله عنهما يعنى أن هذه الكلم

---

(١) "تفسير الطبرى" لابن جرير الطبرى ٤٥٨/١٠..

(٢) "الكشاف" للزمخشرى ٢٩١/٣ بتصرف انظر كذلك "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ٣٨٥/٦.

(٣) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ٤١/٢، انظر كذلك "الكشاف" للزمخشرى ١٩٤/١، "التفسير الكبير" للرازى ٨١/٨..

(٤) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ٣٤١/٦..

لا تقبل ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة، كما قال عز وجل إن كتـــاب الأبـــرار لفى عليين إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذى يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها"[١].

٧- قول النصارى :"لولا يكلمنا الله":

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّـــهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ [البقرة (١١٨)]، وسبب نزول الآية الكريمة طلب النصارى من الرسول الكريم (ﷺ) أن يكلمهم الله كما يكلم رسله وأنبيائه، وقد ذكر الطبرى عدة أقوال فيمن نزلت فيهم الآية: هل هم النصارى أم مشركى العرب أم كفار العرب وكان أولى هذه الأقوال بالصحة والصواب عنده "أنها نزلت فى النصارى دون غيرهم؛ لأن ذلك فى سياق خبر الله عنهم وعن افترائهم عليه وادعائهم له ولداً"[٢].

٨- الكلام بمعنى القرآن الكريم:

قـــال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَـــارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّـــهِ﴾ [التوبة (٦)]، فالله سبحانه وتعالى يقول لنبيه: "وإن أستأمنك يا محمد من المشركين، الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم، أحدٌ ليسمع كلام الله منك، وهو القرآن الذى أنزله الله عليه، فأمنه

---

(١) "الكشاف" للزمخشرى ٣/٢٧٠، وأنظر كذلك "تفسير الطبرى" لابن جرير الطبرى ١٠/٣٩٨.

(٢) "تفسير الطبرى" ١/٥٦٠، وانظر كذلك "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبى ٢/٥٠٥، ابن كثير ١/٢٢٤.

حتى يسمع كلام الله، وتتلوه عليه"[1]، ومن الآيات التى ورد "الكلام" فيها بمعنى القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف (٢٧)].

٩- الكلام بمعنى "البهتان":

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور (١٦)] [2].

١٠- الكلام بمعنى الكذب:

قال تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآَبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف (٥)]، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون (١٠٠)].

١١- كلام الدابة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآَيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل (٨٢)]، وهذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، وهى من علامات الساعة الكبرى[3].

---

(١) "تفسير الطبرى" ٣٢١/٦، وانظر كذلك "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبى ٤٢٦/٨.

(٢) "تفسير الطبرى" ابن جرير الطبرى ٢٨٦/٩، "الكشاف" للزمخشرى ٦٦/٣.

(٣) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ٩٦/٦.

١٢- الكلام المجازى:

قال تعالى: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم (٣٥)]، أى "ينطق بصحة شركهم، وإنما يعنى جل ثناؤه بذلك: أنه لم ينزل بما يقولون ويفعلون كتاباً، ولا أرسل به رسولاً، وإنما هو شئ افتعلوه واختلقوه، إتباعاً منهم لأهوائهم"(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ [الرعد (٣١)].

١٣- الكلام بمعنى التوراة:

قال تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة (٧٥)]، والمراد بالكلام هنا: "التوراة التى أنزلها عليهم، يحرفونها، يجعلون الحلال فيها حراماً، والحرام حلالاً، والحق فيها باطلاً، والباطل فيها حقاً"(٢). وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة (١٣)]، ومن الآيات التى ورد فيها لفظ "الكلم" بمعنى التوراة قوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة (٤١)]، وقوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء (٤٦)].

---

(١) "تفسير الطبرى" ابن جرير الطبرى ١٠/١٨٦.

(٢) م.س ١/٤١٠، أنظر كذلك "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ١/١٦٢.

١٤- الكلمة بمعنى الكفر:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ [التوبة (٤٠)]، أى كلمة الكفر ومنه قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة (٧٤)]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم (٢٦)].

١٥- الكلمة بمعنى "لا إله إلا الله" (**كلمة التوحيد**):

قال تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة (٤٠)]، أى كلمة التوحيد ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم (٢٤)]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف (٢٨)]، وقوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح (٢٦)].

١٦- الكلمة بمعنى القضاء والقدر:

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود (١١٩)]، يخبرنا الحق سبحانه "أنه قد سبق فى قضائه وقدره لعلمه التام وحكمته النافذة أن ممن خلقه من يستحق الجنة ومنهم من يستحق النار"[١] ومن الآيات التى جاءت "الكلمة" فيها بمعنى القضاء قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [الزمر (١٩)]، وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر (٦)]

(١) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ٢٥٢/٤، انظر كذلك "تفسير الطبرى" لابن جرير الطبرى ١٤١/٧.

وقوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم (١٢)]، "أى صدقت بقدره وشرعه"[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [طه (١٢٩)]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات (١٧١)].

١٧- الكلمات بمعنى التوبة:

قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة (٣٧)]، واختلف أهل التأويل فى أعيان الكلمات التى تلقاها آدم من ربه وأخذها عنه تائباً وأرجحها[٢] قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف (٢٣)].

١٨- الكلمات بمعنى التكاليف الشرعية:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة ١٢٤] أى اختباره له بما كلفه من الأوامر والنواهى، ومنه قوله تعالى: ﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف ١٥٨].

١٩- الكلمات بمعنى الإسلام:

قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال (٧)] أى يريد الله أن يرفع كلمة الإسلام ويجعله غالباً على الأديان.

---

(١) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ١٣٨/٨.

(٢) انظر: "تفسير الطبرى" لابن جرير الطبرى ٢٨٠/١٧.

٢٠- الكلمات بمعنى علم الله القديم:

قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف (١٠٩)]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان (٢٧)].

٢١- الكلمات بمعنى الحجة والبرهان:

قال تعالى: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشورى (٢٤)]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس (٨٢)].

٢٢- أمر الله يوم القيامة بعدم الكلام:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود (١٠٥)]، "فمن هذه النفوس التى لا تكلم يوم القيامة إلا بإذن ربها، شقى وسعيد"[١] وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ (٣٨)].

٢٣- أمر الله أهل النار بعدم الكلام:

قال تعالى: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون (١٠٨)] والمعنى "ذلو فيها وانزجروا كما يزجر الكلاب إذا زجرت، يقال: خسأ الكلب وخسأ بنفسه أما قوله: [وَلَا تُكَلِّمُونِ] فليس هذا نهياً لأنه لا تكليف فى الآخرة بل

(١) "تفسير الطبرى" لابن جرير الطبرى ١١٤/٧.

المراد لا تكلمون فى رفع العذاب فإنه لا يرفع ولا يخفف، قيل: هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون"[١].

٢٤- أمر الله الأنبياء بعدم الكلام:

قال تعالى: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران (٤١)]، والكلام فى نبى الله زكريا وذلك حينما بشرته الملائكة بيحيى ثم سأل المولى عز وجل أن يجعل له آيه فعاقبه الله على سؤاله هذا لاسيما بعد مشافهة الملائكة إياه "فأخذ عليه بلسانه فجعل لا يقدر على الكلام إلا ما أومأ وأشار"[٢]. وهو كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم (١٠)].

٢٥- استنكار الكلام:

قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم (٢٩)] والآية الكريمة تدل على استنكار قوم السيدة مريم أن يتكلم وليدها عيسى عليه السلام وهو مازال فى المهد، ومن الآيات التى تدل على استنكار الكلام وكونه أمراً مستبعداً قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف (١٤٨)].

---

(١) "التفسير الكبير" للإمام فخر الدين الرازى ١١٥/٢٣.

(٢) "تفسير الطبرى" لابن جرير الطبرى ٢٥٩/٣.

٢٦- الامتناع عن الكلام:

قال تعالى: ﴿ فَكُلِـي وَاشْرَبِـي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّـا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّـي نَـذَرْتُ لِلـرَّحْمَنِ صَـوْمًا فَلَـنْ أُكَلِّـمَ الْيَـوْمَ إِنْسِـيًّا﴾ [مريـــم (٢٥)]. صدق الله العظيم

خاتمة البحث

قال تعالى: "وَتَمَّـــتْ كَلِمَةُ رَبِّـــكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"، فالقرآن الكريم كلام الله المعجز لفظاً ومعناً، المتحدى بحروفه وكلماته، وبأقصر سورة منه، والمنهج الربانى الذى لا يأتيه الباطل أبداً، والكتاب الأوحد الذى لا تنقضى عجائبه، فكلما علا العقل وارتقى أتى القرآن بعطاء جديد لا ينقطع ولا ينقضى ما دامت السموات والأرض، فهو معجزة العقل الخالدة التى بها نعتبر ومنها نستضئ، فإذا نظرنا إلى دقة ألفاظ القرآن الكريم ودقـــة معانيه فإننا نجد أقرب مثال على ذلك فى لفظ "الكلمة" فنلاحظ أنه رغم حروفه القليلة له كل هذه المعانى اللغوى منها والاصطلاحى.

فمن تبصر ازداد تبصراً ومن استزاد ازداد تقديساً وتعظيماً وإجلالاً لمعانى القرآن التى تذهل الألباب كلما صادفنا جديداً فى هذا الكون.

فالكلمة فى أصلها قضية لغوية، ثم ما لبثت فصارت قضية من أصعب القضايا العقدية، ظهرت بظهور الإسلام، واشتهرت لأجلها قضايا كثيرة كمشكلة كلام الله، ومشكلة خلق القرآن، ومشكلة خلق عيسى، وكل ذلك راجع "للكلمة" التى هى مناط الإعجاز فى القرآن الكريم، وسيأتى غيرى من يتقدم ببحث عن "الكلمة" فيه سر جديد، وسيأتى غيرنا بشئ آخر جديد، وهكذا تتجدد أسرار القرآن العظيم إلى أن تقوم الساعة، وصدق الله العظيم الذى أنعم علينا بحفظه "لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" [يونس (٦٤)].

أهم نتائج البحث

بعد أن انتهيت من كتابة هذا البحث المتواضع يمكن أن أذكر أبرز النتائج التى وقفت عليها، وهى على النحو التالى:

(١) إن أجلَّ وأشرف كلمة هى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"؛ لأنها الفيصل بين الكفر والإيمان.

(٢) القرآن الكريم هو "الكلمة" التى ستظل معجزة إلى أن يشاء الله.

(٣) مغايرة اللفظ للكلمة، فكل لفظ كلمة وليس كل كلمه لفظ فهما كليان بينهما عموم وخصوص مطلق، فالكلمة أعم من اللفظ، ولذا نقول على الكلام غير المتلفظ به كلام نفسى، وهناك معانى أخرى للكلمة. كالقصيدة والخطبة ... إلخ، ومعانى أخرى إصطلاحية كما بينا من خلال البحث.

(٤) الأهمية البالغة لمعرفة اللغة العربية: أصولها وقواعدها قبل البدء فى أى عمل يختص بفهم وتفسير آيات القرآن الكريم.

(٥) ثراء اللغة العربية لاسيما دقة ألفاظ القرآن الكريم حتى أن كلمة واحدة مثل لفظ "الكلمة" يحمل بين جنباته ما يزيد عن ثلاثين معنى.

(٦) التآخى بين العلوم العربية والعلوم الشرعية وكذلك التآلف الحميم بين اللغة العربية والقرآن الكريم شئ تتميز به الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات التى لا تلتزم فيها لغة الدين

بلغة قومه وإنما تميز الإسلام بذلك مما خلق بما يسمى بالحضارة الإسلامية لغة ودينا وعلوما وثقافة ولا ننسى أن هناك علوماً بأكملها نشأت وترعرعت فى ظل الدين الإسلامى.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

ابن تيمية (شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرانى)

(١) مجموع الفتاوى، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، وأشرف جلال الشرقاوى (دار الحديث، القاهرة) ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م الأجزاء ١/٢٠.

ابن كثير (الإمام الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤هـ)

(٢) تفسير القرآن العظيم، علق عليه وخرج أحاديثه هانى الحاج، المكتبة التوفيقية، الأجزاء: ١/٢/٣/٤/٦/٨.

الآمدى (سيف الدين الآمدى المتوفى ٦٣١ هـ)

(٣) المبين فى شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين، تحقيق د/حسن محمود الشافعى (مكتبة وهبة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م)

الباقلانى (الإمام القاضى أبى بكر محمد بن الطيب بن الباقلانى)

(٤) كتاب التمهيد، عنى بنشره وتصحيحه الأب رتشرد يوسف مكارثى اليسوعى (المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٥٧م)

البغدادى (الإمام الأستاذ أبى منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى المتوفى ٤٢٩هـ)

(٥) أصول الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان) ط٣، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

البيضاوى (القاضى عبد الله بن عمر البيضاوى المتوفى ٦٨٥هـ)

(٦) طوالع الأنوار، بشرح الأصفهانى المسمى "شرح مطالع الأنظار"، ط١، المطبعة الخيرية ١٣٢٣هـ.

التهانونى (الشيخ الأجل المولوى محمد أعلى بن على التهانونى)

(٧) كشاف اصطلاحات الفنون، ج ٣ (دار صادر بيروت)

الجرجانى (العلامة على بن محمد الشريف الجرجانى)

(٨) كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، طبع فى لبنان، طبعة جديدة ١٩٨٥م بيروت,

الرازى (الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن على التميمى البكرى الرازى الشافعى ٥٤٤-٦٠٤هـ)

(٩) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تحقيق عماد زكى البارودى، المكتبة التوفيقية، القاهرة، الأجزاء: ٨/١٨/٢٣.

الزمخشرى (الإمام محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى فى سنة ٥٢٨هـ)

(١٠) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، (المكتبة التجارية الكبرى بمصر) ط١، ١٣٥٤هـ الأجزاء ١/٢/٣.

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ)

(١١) تفسير الطبرى المسمى جامع البيان فى تأويل القرآن، (دار الكتب العلمية) بيروت، لبنان، ط٤/٢٠٠٥م * ١٤٢٦هـ، الأجزاء ١/٣/٦/٧/٨/٩/١٠/١١/١٧.

الفيروز اباذى (مجد الدين الفيروز أباذى)

(١٢) القاموس المحيط ج ٤، مطبعة السعادة بمصر.

القرطبى (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى)

(١٣) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق د/ محمد إبراهيم الحفناوى، د/ محمود حامد عثمان (دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، الأجزاء ٢/٣/٤/٨/١٥.

محمد فؤاد عبد الباقى (محمد فؤاد عبد الباقى)

(١٤) المنجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطابع الشعب.

محتويات البحث

الموضــــــــــــــــــــــــــــــــــــوع

مقد مة:

المبحث الأول : الكلمــة ومعانيهــا فى القــرآن الكــريم

المبحث الثانى: كـــــــــــــــــــلام الله الأزلى

المبحث الثالث: كلمــة الله عيســى عليــه الســلام

المبحث الرابع: المواضــع القرآنيــة للفــظ الكلمــة ودلالاتهــا

خات مة البـ حث:

أ هم نـ تائج البـ حث:

الم صادر والمرا جع:

محتو يات البـ حث: